المحاضرة الثانية عشر

التاريخ الساساني: Sassanid history

التكوين الجغرافي :

تشبه هضبة ايران المثلث ، وتبدو محصورة مابين منخفضين هما الخليج العربي في الجنوب وبحر قزوين في الشمال ، وهي الطريق الموصل مابين اسيا الوسطى واسيا الغربية ، كما انها بمثابة جسر الى اسيا الصغرى والى أوربا فيما وراءها . وتحيط بتلك الهضبة سلاسل من الجبال ترتفع محيطة بصحراء منخفضة هي قاع بحر يابس ، تدعى سلسلة الجبال الغربية الممتدة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي باسم جبال (ازكروس) وتتألف من مجموعة سلاسل متوازية تخترقها أودية، ويحد الناحية الشمالية من ايران سلسلة جبال (البرز) وتصل في نهايتها الغربية الى اقليم اذربيجان الايرانية بكثرة سكانه وتنمو في وديانه الخصبة الغلات المهمة كالحنطة والدخن والقطن والأرز والتبغ ، كما انهذا الاقليم ذو شيرة تاريخية خاصة اذ ظهرت منه سلالات الماذيين والفرس التي حكمت ايران. وتتفرع من جبال (البرز) الى الشرق جبال خراسان التي لا ترتفع كثيراً وذات وديان وسيول خصبة تنمو فيها الغلال المتنوعة ، وكانت خراسان المدخل الثاني الى بلاد ايران، وقد أقام ملوك السلالة الساسانية فيها حصوناً لصد الفاتحين ، واشتهرهذا الاقليم بكونه مهد سلالات حاكمة شيهرة كالفرثين وغيرهم ،

وتكمل سلسلة جبال (مكران)في الجنوب سلاسل الجبال المحيطة بهضبة ايران. ويقع في وسط هضبة ايران منخفض صحراوي شاسع يعد أشد بقاع الدنيا جفافاً ، لهذا فقد انحصرت حياة الانسان واستيطانه في الهضبة والوديان بين سلاسل الجبال وفي الواحات وفي السهول الواسعة ومنها سهل خوزستان (بلاد السوس القديمة أي عيلام) وكان هذا الاقليم أقدم أجزاء ايران في استيطان الانسان له وظهرت فيه أقدم الأطوار الحضارية ، ومع ان بلاد ايران محاطة بالجبال الا انها مفتوحة من جياتها الاربع بطرق مسالك الجبال الى سهول مابين النهرين والى روسيا والهند والخليج العربي ، ويمر منها منذ أقدم الازمان طرق مواصلات تربط الشرق بالغرب حيث يخترقها (طريق

الحرير) الشهير ، وتقع ايران بين مركزين حضاريين مهمين هما: بلاد مابين النهرين ووادي نهر السند .

ومن الأمور الجغرافية المهمة التي كان لها أثر في تاريخ وحضارة ايران، توفر الموارد الطبيعية فيها فهي بالدرجة الاولى زارعية وفيها حيوانات صالحة للتدجين ، وهي غنية بأنواع الحجارة الجيدة كالمرمر والرخام وبعض الأحجار الثمينة كحجر اللازورد والفيروز ، اضافة الى الأخشاب والمعادن كالنحاس والحديد والقصدير وغيره .

تاريخ بلاد عيلام القديم:

يعد هذا الجزء من بلاد ايران أقدم حضاريا وعمرانيا من بقية أجزاءها فقد ظهرت فيه الأطوار التمهيدية للحضارة الناضجة منذ العصور الحجرية ، ويقع اقليمهم الى شرق وادي الرافدين ، وقد أطلق الاكديون على اقليم بلاد عيلام اسم (إيلامتو) ، ودعاه الاغريق باسم عاصمتهم الشهيرة السوس (سوسا) فسموه (سوسيانة) أي بلاد سوسا . وتعد بلاد عيلام جزءاً من جنوبي وادي الرافدين من ناحية الخصائص الجغرافية ومن الناحية الثقافية حيث التشابه الحضاري الكبير والاتصالات الثقافية منذ عصور ماقبل التاريخ ، وكثيراًماصارت ولاية تابعة للدول التي قامت في بلاد الرافدين، كما انها غزت العراق القديم أكثر من مرة في عيود ضعف الدول القائمة فيه .

لقد ظهر في بلاد عيلام نوع من الكتابة الصورية في عهد جمدة نصر في بلاد الرافدين وسمي بالخط المسماري العيلامي القديم ودون في عدة مئات من الواح الطين وجدت في السوس وظل مستعملا الى العهد الاكدي ، ولكن ترك العيلاميون استخدام هذا الخط القديم واستعملوا بدلاً منه كتابة مسمارية مشتقة من الخط المسماري في العراق القديم بعد اجراء بعض التعديلات عليه.

استوطن في بلاد عيلام أقوام لايعرف عن اصولهم أشياء مؤكدة ، فهي ليست من الأقوام الايرانية التي هاجرت الى ايران في بداية الألف ق.م . ومن الباحثين من يسمي

سكان ايران قبل مجيء الايرانيين باسم القزوينيين نسبةً الى اقليم بحر قزوين ومنهم الكوتيون واللولوبو والكشيون.

بدأت بلاد عيلام بتزويدنا منذ بداية الألف الثالث ق.م بشيء من المصادر عن تأريخها ، وأقدم اشارة اليهم هي التي جاءت من سلالة لجش الا ولى من العصر السومري القديم، وتعرضت بلاد عيلام الى ضغط شديد بقيام السلالة الاكدية حيث سيطر عليها سرجون الاكدي وضم بلاد السوس الى دولته ، وظلت عيلام خاضعة لغاية عهد الملك نرام سين حيث ثارت عليه فأخضعهاهذاالملك الاكدي بعنف وقسوة وتوسع نفوذ بلاد الرافدين في عيلام خلال العهد الاكدي حيث حلت اللغة الاكدية محل اللغة العيلامية وسمي كثير من السكان انفسهم باسماء جزرية ، ولكن بعد وفاة الملك الاكدي نرام سين قام الحاكم العيلامي بالاستقلال عن السلطة الاكدية وغزا بلاد الاكديين في عهد الضعف الذي حل بها. ولكن لم يدم الازدهار السياسي زمناً طويلا في عيلام فقد داهمهم خطر الأقوام الجبلية المجاورة للعراق القديم ومنهم اللولوبو وبعدهم الكوتيين الذين قضوا على السلالة الاكدية في بلاد الرافدين وفرضوا سيطرتهم أيضاً على بلاد عيلام . وبعد قيام سلالة اور الثالثة دخلت بلاد عيلام ضمن هذه الدولة الى أكثر من قرن الى سقوط هذه السلالة حيث ساهم العيلاميين بإسقاطها مع الأموريين ، وقاموا فيما بعد بالقضاء على الدولة الكشية في بلاد الرافدين وأخذوا غنائم مهمة أشهرها مسلة حمواربي ومسلة نرام سين ، حيث عثر المنقبون على هذه الآثار في سوسا عاصمة العيلاميين ، وقد ازدهرت عيلام في هذا العهد عمرانيا وثقافيا وسياسيا حيث كون الملوك العيلاميين في نهاية العهد الكشي مملكة كبيرة ضمت معظم بلاد ايران، وحلَ التدهور في بلاد عيلام بداية الألف الاول ق.م وكانت آخر الضربات القاصمة على يد الملك الآشوري آشور بانيبال الذي أزال دولتهم من الوجود

نشأة الامبراطورية الساسانية:

تنسب الاسرة الساسانية نسبتا الى جدها (ساسان) وهو الكاهن الأعلى في معبد الالهة(اناهيتا) في العاصمة (برسيبولس) وقد خلفه في تلك الوظيفة ابنه (بابك) الذي تزوج من ابنة الحاكم الفرثي ، وثار عليه فيما بعد وأخذ السلطة منه بالقوة ، واعتبرته

المآثرالمتأخرة مؤسس السلالة الساسانية الحاكمة ، ثم استطاع (اردشير) وهو الابن الثاني للملك (بابك) من السيطرة على بلاد فارس وأعلن نفسه ملكاً عليها وكوّن منها مملكة موحدة قوية ، واستطاع ان يهزم جيوش الملك الفرثي في عدة معارك والقضاء على الملك الفرثي، وهكذا انفتح الطريق أمامه الى العاصمة طيسفون (سلمان باك حالها) في بلاد الرافدين، وتوج عام(٢٢٦م) ملكاً شرعياً على جميع ايران وهكذا رجعت السلطة الى الفرس من بعد خمسة قرون ونصف القرن من سقوط الاخمينيين . ودام العهد الساساني أكثر من أربعة قرون حيث انتهى بقضاء العرب المسلمين عليهم في العراق بعد معركة القادسية الشهيرة في حدود(٦٣٧م) . ومن الملوك البارزين في تاريخ العهد الساساني الملك (اردشير) الذي دام حكمه نحو خمسين عاماً استطاع خلالها ان يدحر أعداءه الواحد تلو الآخر ، وحول الجيوش الى أداة نظامية قوية ، وأشرك ابنه (شابور الأول) في الحكم فورث شابور عن أبيه دولة قوية ، وكان من أعاظم ملوك السلالة الساسانية لما قام به من أعمال خاصتاً في الجانب العسكري متمثلاً بانتصاراته على الكوشانيين والرومان ، وقد خلف أخبار انتصاره على الكوشانيين في الكتابات المنقوشة في جدران معبد (نقش رستم)،ومن الأعمال الأخرى التي قام بها هذا الملك اكمال التنظيمات الداخلية للامبراطورية التي ابتدأها أبوه، ولولع هذا الملك بالحكمة والمعرفة والفلسفة أمر بترجمة مجموعة كتب يونانية وهندية تتضمن نواحي مختلفة من المعرفة كالطب والفلك والفلسفة ، وشمل حركة ماني الدينية بحمايته. ومن الملوك البارزين الآخرين (شابور الثاني)، وكسرى الأول (انوشروان) الذي دام حكمه نصف قرن تقريباً واشتهر بإصلاحاته وعدله في جميع النواحي الثقافية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والعمرانية فقد وسع العاصمة (طيسفون) في العراق وبنى الطاق العظيم واتخذه لإقامة الحفلات ، وقد مضى على بناءه أكثر من(١٥٠٠) سنة وماتزال بقاياه قائمة الى يومناهذا. وكان هذا الملك آخر الملوك البارزين في السلالة الساسانية فقد خلفه سلسلة من الملوك الضعفاء الذين ساءت في عهدهم أحوال الدولة ومنهم كسرى . الثاني (ابرويز) الذي تجاهل سفارة النبي محمد (ص) اليه يطلب منه فيها الدخول الى الدين الجديد (الاسلام)، ولم يخطر بباله ان

اصحاب الدين الجديد سيقومون باكتساح إمبراطوريته والقضاء عليها في عام(٦٥١م)

الحضارة الساسانية :

١- اللغة والأدب :

كانت لغةهذاالعصر هي اللغة البهلوية التي كُتبت بالخط البهلوي وكان هذا الخط صعباً جداً حيث يلزم لقراءته معرفة أكثر من (١٠٠٠)علامة ، وقد استخدمت هذه اللغة منذ أواخر العصر الاخميني ، وأُلفت كتب هذا العصر بها وكذلك ترجمت بعض الكتب اليها ومن أمثلة ذلك ترجمة كتاب (كليلة ودمنة) الذي أمر (أنوشيروان) بجلبه وترجمته الى اللغة البهلوية ، وفيما بعد ترجمه ابن المقفع الى العربية . أما الأدب المنثور فقد شاعت كتابة القصص الخاصة بالحرب والمجالس في هذا العصر.

٢- الديانة وعلاقتها بالديانات الأخرى:

سادت عدة ديانات خلال العهد الساساني ، فقد أشارت المآثر وان خالفتها المصادر الحديثة الى ان الملك (اردشير بن بابك) جعل الديانة(الزاردشتية) ديانة الدولة الرسمية، وظهرت كذلك الديانة(المانوية) التي سميت بهذا الاسم نسبتاً الى مؤسسها (ماني) الذي ظهر في عهد الملك (شابور الأول) فقربه اليه لأسباب عديدة ، وكان ماني من أصل نبيل وادعى أنه نبي مرسل من السماء فبشر بديانة عالمية يدخل فيها جميع البشر بمختلف طبقاتهم وأشكالهم وألوانهم ، وكانت الطقوس والعبادات التي فرضها (ماني) مشتقة من عبادات بابل وايران القديمة كالزاردشتية وأثرت فيها أيضاً البوذية والمسيحية ، وكانت الأسس العقائدية في هذه الديانة تقوم على (الثنوية) و (الضدية) أو الصراع بين عنصرين يسودان الكون وهما النور والظلام ، والخير والشر .

ومن هذين العنصرين خُلق الكون . وفرضت هذه الديانة نوع من الصلاة والصيام ، الا انها خلت من القرابين وعبادة الصور والأصنام ، ومارست أيضاً بعض الأمور من الديانة المسيحية كالتعميد والتوبة والقداس الالهي والغفران من الذنوب. وقد حُكم على

(ماني) بالموت واضطهد أتباعه بعد وفاة الملك (شابور الأول)من لدن الكهنة المجوس الذين حاربوا المانوية، وظهرت كذلك حركة دينية اجتماعية فكرية أخرى . هي(المزدكية) نسبتاً الى (مزدك) في عهد الملك (قباذ الأول). وكذلك دخلت في عهدهم الدهانة المسيحية والبوذية.

٣- الفنون والعمارة:

كان الفن الساساني خلفاً مباشراً للطور الأخير من الفن الفرثي الذي كان فناً ايرانياً بوجه أساسي . وخير مثال على فن العمارة الساساني هو بناء القصور ومنها قصر طيسفون (طاق كسرى) حيث استخدموا في البناء طراز الطاق والعقادة ويقع هذا الطاق بالقرب من نهر دجلة وهو بهو الاستقبال الملكي ذو السقف المقوس ، الذي أُقيم على شكل بيضوي . وهذا الايوان قسم من القصر الأبيض الذي بناه أنوشروان ، كما ولع الساسانيون بزخرفة جدران القصور بالرسوم الزاهية وهذا ماأيدته الأدلة الأثرية ، كما استعملوا الحجر في بناء القصور وتزيين قطع الحجر في الجدران بالمنحوتات البارزة التي تمثل مشاهد تاريخية تذكارية للملوك . ومن فن النحت الذي ما ازل قائماً الى يومناهذا المنحوتات التذكارية البارزة المنقوشة على الجبال مثل النحت الضخم العائد للملك (أردشير الأول) و(شابور الأول) في الموضع المسمى (نقش رستم) الواقع قرب (برسيبولس) ، ونقش تمثال (كسرى) قرب كرمنشاه . ومن الفنون الأخرى التي اشتهروا بها فن صياغة الذهب والفضة التي خلفوا منها مجموعة صحون منقوشة وكذلك صناعة الحرير التي دخلت الى ايران في العهد الساساني من الصين وأشتهر الحاكة بمهارتهم الفنية في النقوش الجميلة .